تاريخ اوربا في عصر النهضة

المحاضرة السادسة عشر **م.م. يسرى عماد الطه**

حرب الثلاثين عاما ١٦١٨ ــ ١٦٤٨

فشل صلح اوجزبرج الذي تم في ١٥٥٥ في ان يرضي جميع الأطراف ، اذ لم يستطع الامبراطور ان يفرض الكاثوليكية على الشعب الألماني كله بل اضطر الى ترك الحرية لكل حاكم في ولاية او ابرشية في ان يختار المذهب الذي يروق له و يفرضه على رعاياه .

لم ينصف الصلح اتباع مذهب كلفن بألمانيا مع ان الكلفنية كانت المذهب الذ اعتنقه الكثيرون في المانيا و أصبح المذهب الرسمي لأغلب الولايات الألمانية مثل براندنبرج و بلاتين

اقتصر صلح اوجزنبرج (شروط الصلح) على اللوثريين متجاهلا الكلفنيين كل التجاهل و ترتب على ذلك حقد كبير منهم على اللوثرين

على اثر ذلك انقسم البروتستانتين على انفسهم و اختلفوا في تحديد مبادئ البروتستانتية و شعائرها ، اما المذهب الكاثوليكي فقد انتعش في نفس الفترة عن طريق الثورة الإصلاحية المضادة و الجهود العملية التي بذلها اليسوعيون (الجزويت) ، مما ساعد على تثبيت دعائم الكاثوليكية في بولندة و الأراضي المنخفضة الاسبانية و فرنسا وساد المذهب تماما في كل من اسبانيا و إيطاليا .

كان هذا الانتعاش السبب في بعث الامل في احتمال القضاء على البروتستانتية و عودة المانيا الى كنف الكنيسة الرومانية ، لا سيما و ان صلح اوجزبرج لم يكن سوى فترة استراحة و ليس حلا حاسما للمشكلة الدينية التي عادت الى الظهور في ١٦١٨ في حروب ضارية استمرت ثلاثين عاما انتهت بصلح وستفاليا .

اختلطت المشكلات الدينية مع الدوافع السياسية في هذه الحرب ، فقد كان الامبراطور الزعيم الطبيعي للكاثوليكية و حامي حماها في المانيا ، و لكن الامراء الالمان الذين اختاروا الكاثوليكية مذهبا لولايتهم كانوا يخشون من ان تأييدهم للإمبراطور ضد الامراء البروتستانت يؤدي الى تدعيم سلطانه المطلق على الجميع (كاثوليك و بروتستانت) لذلك كان هؤلاء الامراء يكرهون الوجود الامبراطوري القوي بقدر كرههم للبروتستانت ، و هذا مايفسره تغيير مواقف الامراء خلال حرب الثلاثين عاما .

هناك مشكلة أخرى أدت الى تدهور الأوضاع بين الكاثوليك و البروتستانت في المانيا ، ان امراء الشمال و الجنوب من البروتستانت قد تجمعوا و كونوا الاتحاد البروتستانتي سنة ١٦٠٨ و في مقابل ذلك تكون الحلف الكاثوليكي في ١٦٠٩ ، و تهيأ بذلك الجو لاندلاع حرب دينية في المانيا

كانت هذه اهم اساب اندلاع حرب الثلاثين عاما و كانت بوهيميا اول مسرح دارت عليه تلك الحروب ، الا انها انتشرت بعد ذلك و لم تعد حربا دينية فحسب بل ما لبثت ان أصبحت حربا دولية بين أمم مختلفة قامت تناهض سيادة آل هسبرج لحفظ التوازن في اوربا .

انقسمت حرب الثلاثين عاما الى اربع مراحل :

الأولى هي الحرب البوهيمية ١٦١٨ – ١٦٢٥

الثانية هي الحرب الدنمركية ١٦٢٥- ١٦٢٩

الثالثة هي الحرب السويدية ١٦٣٠ -١٦٣٥

الرابعة هي الحرب السويدية الفرنسية ١٦٣٥ – ١٦٤٨

بوهيميا :

اول شرارة للحرب انطلقت من بوهيميا لأنها كانت معقل من معاقل البروتستانتية ، ففي ١٦١٨ انتخب فرديناند امير للنمسا من اسرة هيسبرج امبراطورا باسم فرديناند الثاني و كان في الوقت نفسه ملكاً على البوهيميين و معروفا بانه محب للكاثوليكية متعصب و خصم قوي للمذهب البروتستانتي

عندها تأكد للبوهيميين مدى الخطر الذي يلحق بهم و بمذهبهم عندما امر بهدم الكنائس البروتستانية فعارضوا و تظلمو من الامر

انتفض الشعب البروتستانتي في براج و اشتدت المقاومة مما أدى الى قيام حرب بين الأهالي و القوات الكاثوليكية و اعتدى الثوار على ثلاثة من رجال الحكومة كانوا مبعوثين من قبل الامبراطور و القوا بهم من نافذة دار البلدية و كان هذا الاعتداء فاتحة الحرب الطاحنة حيث سير عليهم فرديناند قواته لقمع ثورتهم .

و لم يكن بوسع البروتستانت ان يأملو النجاح في تلك الحرب بغير مساعدة خارجية فاتجهوا الى فردريك حاكم ولاية البالاتين و هو احد زعماء البروتستانت الكلفنيين فلبى فردريك دعوتهم و تزعم حركتهم و قبل التاج البوهيمي و لقب فريدريك الخامس و استقدم قوات من الاتحاد البروتستنتي لتحارب في صف القوات البوهيمية .

اما الامبراطور فرديناند فقد تلقى عونا ماليا من البابا و استقدم قوات اسبانية من ميلان و قوات كاثوليكية من بافاريا و اجتاح بوهيميا بجيش لا يقل عدده عن ٥٠ الف مقاتل

التقى الجيشان في موقعة الجبل الأبيض بالقرب من براغ و لم تستطع قوات فريدريك ان تصمد امام الهجوم الكبير و انتصر جيش فرديناند و هرب فريدريك تاركا قواته لاسوأ مصير

اطلق عليه ملك الشتاء لانه لم يتمتع بتاج بوهيميا الا فترة الشتاء

ضرب فرديناند بيد من حديد على الامراء البروتستانت و نفى عدد كبير منهم و استخدم البطش و التنكيل ليرغم المواطنين في بوهيميا على اعتناق الكاثوليكية

ترتب على هذه الحرب هجرة الاف الاسر البروتستانتية و تدفق اليسوعيون الى البلاد فأنشأوا فيها ارسالياتهم التبشيرية و المدارس و هكذا بدأت كثلكة بوهيميا من جديد و اخمدت انفاس البروتستانت في النمسا عندما ثار أهلها انتصارا لبوهيميا

أدت النكسة الى انحلال الاتحاد البروتستانتي في عام ١٦٢١ و انتقال زعامة البروتستانت الى يد ملك الدنمارك و انتهى الدور الأول من حرب الثلاثين عام .

الدنمارك : ١٦٢٥-١٦٢٩

كانت الدنمارك و إنجلترا تتابعان سير الحرب البوهيمية بكل قلق و اهتمام و كان كريستيان الرابع ملك الدنمارك و في الوقت نفسه دوق امارة هولشتين و هي ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية و له اهداف سياسية الى جانب تعصبه المذهبي ، فقد كان يأمل في الاستيلاء على بعض الابرشيات الألمانية

و يكون مملكة باسم ولده و دخل الحرب معتمدا على تحالفه مع إنجلترا و امراء شمال المانيا و على ما بذله الوزير الفرنسي ريشيليه من وعود بمساعدته

بدأت المرحلة الثانية من حرب الثلاثين عاما ، رأى الامبراطور ان البروتستانت هذه المرة اكثر قوة و اشد مراسا فاستعان باعظم القادة الالمان في ذلك العصر والنشتين دوق فرديناند المعروف بقدرته على جمع الجند المرتزقة من مختلف الجنسيات الاوربية و هم الذين يعيشون على كسب المواقع و السلب و النهب

اشترط والتشين ان تكون القيادة العليا له وحده رغم وجود قائد كبير لقوات الامبراطور هو قلي الا ان الامبراطور كان مضطراً لقبول شروط والتشين لكسب المعركة ضد البروتستانت .

استطاع والنشتين و من معه من قادة الإمبراطورية من هزيمة ملك الدنمارك و طرد قواته من الأراضي الألمانية و احتلال معظم الأراضي الدنماركية نفسها و حاول والتشين بعد ذلك التوسع نحو الساحل لتقوية دفاعه ضد أي غزو محتمل من جانب السويد و في الوقت نفسه استغلال موارد الموانئ بفرض الضرائب فيعا لاعالة جيشة و الانفاق على مطالب المرتزقة من قواته .

رفض ميناء ستر السند الإذعان لما فرضه عليها و استعدت للدفاع عن نفسها فحاصرها لمدة خمسة اشهر خلال عام ١٦٢٨ و لكنها قاومته و استبسلت في الدفاع و ساعدها في ذلك ان حصارها كان بريا فقط اما البحر فكان مفتوحا لمدها بالمساعدات عن طريق اسطولين الدنمركي و السويدي .

لما يئس والتشين اضطر الى رفع الحصار عنها و على اثر ذلك ادرك كل من الامبراطور و كريستيان ملك الدنمارك ان لا مفر من الاتفاق و لا سيما ان الأخير يئس من وصول اية مساعدة فعالة من إنجلترا التي وعده بها ملكها شارل الأول اما الامبراطور فرأى ان يسارع بعقد اتفاق قبل ان يدخل ملك السويد الحرب في صف البروتستانت

و على ذلك تم صلح لوبك سنة ١٦٢٩ على ان يتنازل كرستيان عن كل ما يدعيه في الاسقفيات الالمانية على شرط ان يسترد املاكه الوراثية وهي هولشتين و شلزويج و جنلند

و بعد الصلح قوي مركز الامبراطور كثيرا و اصبح البروتستانت تحت رحمة الكاثوليك ، و صمم الكاثوليك على انتهاز الفرصة لتدعيم مركزهم من خلال تحريض الامبراطور على اصدار مرسوم الإعادة .

مرسوم الإعادة : مرسوم فرض على البروتستانت بعد صلح لوبك سنة ١٦٢٩ ، يخول من خلاله الكنيسة الرومانية استرجاع كل الأملاك التي انتزعت منها منذ معاهدة اجزبرج عام ١٥٥٥ ، و كان لهذا المرسوم صداه المفزع للبروتستانت ليس في المانيا و حسب بل في كل اوربا خصوصا حكام

الدول التي تخشى أطماع الامبراطور و أحلامه في انشاء حكومه ملكية من ال هبسبرج تمد سلطانها الى اوربا باسرها .

و كان من بين من اوجسوا من نوايا الامبراطور المخفية الفرنسيون و السويديون و كان المسيطر على السياسة الفرنسية حينذاك ريشيليه و لكنه لم يكن في وضع يمكنه من التفرغ لمناهضة الامبراطور اذ كان لا يزال مشغول بكسر شوكة اشراف فرنسا من جهة و قمع حركات الهيجونت من جهة أخرى و لذلك اكتفى بتأييد المغامرة التي قام بها جستاف اودلف ملك السويد و امداده بالمال و في الوقت نفسه اجرى الاتصالات مع بعض الولايات الكاثوليكية الألمانية لإثارتهم ضد الامبراطور مستغلا المخاوف التي تراودهم تجاه عزم الامبراطور ان تكون السلطة الألمانية كلها مركزة بيده .